



مجموعة شعرية

لا ماءَ يكفي الغرقى

محمد رضا



دار النهضة العربية



لا ماءَ يكفي الغرق

محمد رضا

مجموعة شعريّة



دار النهضة العربية

بيروت – لبنان

بيروت – شارع الجامعة العربية – مقابل كلية طب الأسنان

بناية اسكندراني رقم 3 – الطابق الأول

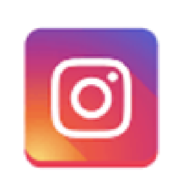
منشورات: دار النهضة العربية

+961 1 833270 / +961 1 854161

لوحة الغلاف: Egon Schiele

darnahda@gmail.com





@darnahda

إلى أمّي وكلّ الشخصيات النسائيّة في حياتي

-1-

يدٌ بلا جلد

أعدك أمي

أعدك أنني لن أنام

قبل أن تعود آخر الفراشات إلى الحقل

لتودع الزهور التي تركتها وحيدة للمساء الطويل

وأجساد من مرّوا وتركوا أنوفهم

لتتحوّل رحيقًا

أعدك أنني لن أموت كرجل شريف

لأني لم أعد طفلًا خبيثًا يقفز في دوائر

ويبحث عن سرّه

في كتاب

وعن أغنيته الضائعة

في حنجرة الأم وجلدها المكدّس في الراديو

أعدك أنني سأشرب كثيرًا

لأنسى أن لي عينًا تمنعني

وفمًا

وذراعًا

وشعرَ عانة

من أن أكون شجرة في ممرّ

أو لوحةً لمسيحٍ عابر

في سقف كنيسة

لأمسح رؤوسهم بأصابع قدمي اليمنى

وأخبرهم أن دمي فاسد

لا يصلح للشرب

وأن جسدي عفن ومزموم

لا يصلح لأن يكون قربانًا لإله يتهاوى

أعدك أنني سأزور مقابر من أحببناهم معًا
وانتظرناهم على العتبة في الشتاءات
لأسرق الورود من تربتهم
وأجمعها في باقات
وأهديها لنفسي
كي أعوّض عن خساراتهم

أعدك أنني سأسافر
إلى بيوت لا تعلق آية الكرسي في صالوناتها
ولا تجيد اقتناء السُبح
لأن سماواتها اكتشفت باكرًا
أن الله يقتات على زرقتها
ويصطاد الطيور العابرة في السرب
ليجمع ريشها في سلّة
ويغوي نفسه بالطيران

أعدك أنني سأموت على المرفأ
منتظرًا مركبًا بشراع مبتور
وصافرة إنذار
ومنارة
كي لا يخلطوا بين رغبتي بالانتحار
أو الإبحار بعيدًا نحو الشاطئ

أعدك أنني سأطلق رصاصتين على رأسك

لأروض الوحوش التي تعيش فيه

وأجعلها أليفة

وأبني معها صداقات

لنذهب معًا إلى الغابة

لمساعدة الصيادين على إخفاء آثار جرائمهم

بحق الأفاعي

والحجارة

والمغاور

والينابيع

أعدك يا أمي

أنني لن أعود إلى الحياة على شكل وردة

لأن الورود تسرق ضباب النوافذ

لن أعود على شكل نافذة

لأن الورود تختبئ خلف زجاجها لتبحث عن الربيع

لن أعود ربيعًا يا أمي

لأن كل العصافير قد هاجرت أسرابًا كثيرة

بحثًا عن العواصف

لن أعود على شكل عواصف

لأني التهمت كل العصافير

كي أؤجل قدوم البنادق إلى الوادي

أعدك يا أمي أني لن أحبك إلى الأبد

لأني سأعبر النهر بحراشفي

نحو المحيط

وسأصل وأنسى أنني يومًا ما كنت سمكة عابرة في نهر

ذاكرة طفلة

الطفلة التي كانت تخبئ نفسها في صندوق كي لا تكبر

وتقفل عليه في الخزانة

تفاجأت بشق صغير أسفل الفرج

وشعرة بيضاء على الرأس

ولم يَعنِها موت الفراشات

ولا حزن العصافير التي كانت تعبر الشمس

استعدادًا لهولوكوست جماعيّ

الطفلة التي طلبت من والدتها

أن تترك لها صورة في الأرشيف

حاملة دميتها ليلي

مبتسمة للكاميرا

كي تتذكر دومًا كيف تبدو البراءة

وكيف تضحك الأمهات عند هبوب الريح

شكت سكينًا في خاصرة ابنتها

لأنها كانت حالمة جدًا

وتحب الدمى وألعاب الخيال

الطفلة التي أخبرت والدها

أنها ستحبه دومًا وإلى الأبد

لم تستطع أن تحضر جنازته

لأن إصبعًا صغيرة انكسرت فجأة على العتبة

ولم تجد لها ضمادة

فأغلقت الباب وأعادت حقيبة الظهر إلى الخزانة

لأنها لن تستطيع أن تتمسك برحيله بعد اليوم

الطفلة التي كانت تغار من أختها التوأم

لأنها حلمت أنها ستملك عيونًا زرقاء

وشعرًا أشقر ناعما

امتصتها في الرحم وابتلعتها دفعة واحدة

لكنها لم تعلم

أن أمها ستناديها باسم الأخرى على الدوام

وستعتذر كل مرة

وتتحجج بالألزهايمر

الطفلة التي تمسكت بلوحاتها

كي لا تكبر

وتنمو أطرافها

تفاجأت بحفار القبور

وهو يهيل التراب على جسدها المجعّد

ويطويها بالنواح

بعدما طلبت من ابنها الأربعيني مساء

أن يشتري لها صبغة للشعر

وثوبًا من الساتان

كي لا تبدو طاعنة في السن

في صورتها الجديدة التي ستعلقها في غرفة المعيشة

كان على الطفلة التي خبأت الطفلة في صندوق

أن تعلمها الأبجدية

وتقص لها شعرها يوميًا

وتشتري لها الآيس كريم

كي تقرأ رحيلها بسرعة

وتتمتع بالڤانيليا

في النزهات الحميمة تحت ضوء الشمس

التي تعبر الخزانة بخفوت

وتقفل على ظلها في الجدار

كي لا ينمو

البكاء أسهل من ارتداء حمالة صدر

ارسمي رجلًا على السرير يا ابنتي

رجلًا بأربع أقدام

كي يجيد الرحيل مسرعًا

ارسمي وجهًا لفراشة

أو لجناح

حتى يتسنى لكليهما التحليق

حين يكونان بعيدين عن مشهد السقوط في حفرة

ضعي شرشفًا فوق الطاولة

اجلسي على الطاولة

وغطيها بعريك

أمسكي بيدي في الحلم

كي لا تطول النزهة في الغابات

اركبي على الدراجة وانطلقي

حين تكون العتمة قاسية

ويدي لم تصل بعد

غني لأخيك الصغير

كي يغفوَ على مهل

أيقظيه كل ثلاث دقائق

كي يشهق بشكل متقطع

ولا يموت دفعة واحدة في الغرفة

ويترك أنفاسه على الوسادة

ارسمي يده حين يرحل على جدار مطبخنا

كي لا تعبر المسامير

قلب الجدار

وتقتل الزرافة التي زرعناها معًا داخله

لنسابقها معًا في الغابة

ذات نهار جميل

امسحي دمعة أمك

خذيها عن المحرمة

وضعيها في كأس

واشربيها على دفعات

كي لا تنسي مذاق التعب الذي ينمو فوق الجفون

ويترك خصلًا بيضاء على الشعر

اكتبي قصيدة يا ابنتي

كلما أحزنك صمت الأشجار

وغياب البلابل عن الوادي

جمّعيها معًا في صندوق

وضعيها في أكواريوم

لتكبر وتتعلم السباحة في الينابيع

خذيها من ينابيعها

وانشريها على حبل غسيل طويل

لتجفّ أجنحتها

علّميها كيف تهاجر نحو المحيطات

لتجد نقطة الماء الضائعة

التي سقطت من الغيمة ودلفت نحو البركة

ووسّعت مجرى النهر

قولي للرجل الذي تحبينه

أنه لا بأس من أن يبكي على كتفك

أخبريه أن البكاء أسهل من ارتداء حمالات الصدر

وترطيب البشرة

اطلبي منه في كل مرة أن يبكي أكثر

أخبريه عن حزن الأزهار في المساءات

ونعومة القش

وهشاشة الغيم

قولي له إن الأحزان الكبيرة ستمر

لأنها ليست أكبر من حدقة العين

وإن الدموع التي يخرجها الآن إلى السطح

لتكون كالجنائز

لن يحضرها أحد

ولن يهيل عليها التراب سوى حفاري قبور

جاؤوا من أجل أجور زهيدة

ولم يبقوا لقراءة الفواتح

اصغي جيدًا ولا تموتي الآن

كي لا تخسري القطة التي ستعبر الشارع بعد دقائق

وتضل طريقها إلى بستانك

لتحملك في رحمها وتمنحك تسع حيوات

اقبلي الهدية يا ابنتي

وضعي لها كل يوم وعاء حليب وقطعة من الجبن

كي لا تجوع توائمك

أخبري أمك أنك ذاهبة إلى النهر

لسرقة ضفدع

وسلّمي جسدك للتيارات

ولا تحزني يا ابنتي

فغدًا ستشلحك المياه على الغصن

لتشكلي شجرة

أو لتسهمي في بناء حديقة فوق التل

سأم آخر الليل

لم أعد أبحث عن السمكة في النهر
ولا عن الوردة في الحديقة

أريد للطرقات أن تجد طرقاتها
كي لا تضل مسار العودة
إلى المزارات القديمة
أريد للموتى أن يكنسوا عيونهم عن الأرصفة
كي يرتاحوا من الرؤية

لم أعد أبحث عن الأجنحة في الفراشات
ولا عن الدودة في الثمرة

أريد للوافدين الجدد إلى المدن
أن لا يلتفتوا إلى المصابيح في الشارع
كي لا يخلطوا بين الشاحنات المسرعة
ووجوه من ينتظرون
أسفل الجسر
ليتخلصوا من مناديلهم

لم أعد أبحث عن أصابعي في يدي
ولا عن الحاجب فوق العين

أريد للمحطات المتهالكة

أن تسرع موعد انطلاق القطارات

لأن الرحلة طويلة

والحزن يحجز دومًا المقاعد كلها

ويشتري كل التذاكر

ويرشو من يقفلون الأبواب

والنوافذ

لم أعد أبحث عن اللغز في الكتاب

ولا عن الغصن في الشجرة

أريد للعابرين على الأرصفة

أن لا ينسوا معاطفهم

وأعواد الكبريت

والقبعات

والغليون

كي لا يضطروا لعبور الشارع ثانية

لشراء السجائر

أريدهم ألا يطيلوا النظر في وجه الفتاة التي تمر

بأحمر شفتيها

وأقراطها

وفساتينها القصيرة

كي لا يضطروا لحمل ظلها في حقائبهم

أريد لهم أن يشيحوا بعيونهم عنها

إن رأوها تعبر الجسر

لأن النساء في هذه القرية الباردة

كلّما أحبوا رجلًا

اغتالوه بالغياب

لم أعد أبحث عن المجرم في السجن

ولا عن الجثث في المقبرة

أريد للواحد أن يفهم

أنه ليس اثنين

أنه يمكن أن يكون

أريده أن يفهم أن ظلّه لا يعنيه

أن ظله يرافقه من النهار

إلى النهار

كرائحة الأمهات

لكنه لا يبحث عن رفيق

بل عن مسكن هادئ تحت شجرة

أو عن حصاة

في الحقل

أريد للواحد أن يعرف

أن للجسد ظلالًا مختلفة

تتغير بتأثير المناخ

ودرجات الحرارة

ومقدار الحنين إلى هناك

إلى الصفصافة الأولى

حيث ودّع أمه بكلمتين اثنتين

ولم يقل لها أحبك

فلم تيبس الشجرة

واكتفت بتبديل الفصول

لم أعد أبحث عن الطفل في الرحم

ولا عن الذهب في المناجم

أريد لكل الجدّات

أن يتوقفن عن انتظار أبنائهن

قرب التلغرافات

لأنهم لن يرسلوا أصابع أقدامهم الصغيرة

ولا أفواههم

في ظُروف وبرقيات

لم أعد أبحث عن الأسد في الغابة

ولا عن المزهرية فوق المنضدة

أريد للذين ينبشون في رأسي

أن يميزوا بين ذقني

وفك الغزالة التي علقت هناك

أريد للذين يحفرون في جسدي

ألا يعثروا عليه كثيرًا

كي لا يخافوا من كل ما يختبئ فيه

أن يتغاضوا عنه

وينسوه مربعًا في صندوق

كي لا أضطر أن أسير مجددًا على الأرصفة

خائفًا من أن يكتشفوا

أنني أربي نمورًا في بطني

وعصافير

وحدائق

لم أعد أبحث عن اللوحة فوق الحائط

ولا عن الفراشة في الحقل

أريد من الذين أحبهم

أن يكفوا عن حبي

لأني أجلت مواعيد كثيرة

وصدفًا

ولقاءات

من أجلهم

واستمعت إلى صوت أنفاسهم في الليل

وخفت عليهم

أكثر من خوفي على السنديانة المهجورة

والعريشة التي في دارنا

أريدهم أن يكفوا عن حبي

لأني مليء بالتعب والحسرات

ولا أميز أحيانًا

بين عيني وإشارات المرور

لم أعد أبحث عن شيء

أحمل ظلي في يدي

كي أنقله إلى النبع

وأدعوه إلى شرب الشاي

وأعلم أني راحل

وأنه راحل

وأننا لم نلتقِ

إلا لنسأل بعضنا عن الاتجاهات

Monologue

كل ليلة أضع الغطاء فوق رأسي

لخمس دقائق

أختفي قليلًا

أغيب كسمكة في مجرى النّهر

كل ليلة أحلم

بأن أستيقظ وأجدني بمنقار وجناحين

لا لأني أودّ أن أكون طائرًا

بل لأني فقط بحاجة لمساحة واسعة من الغيم

كل يوم أهمس للشجرة التي أحب

أن الثلج سيأتي قريبًا

ليبحث عن أم لا تجيد السقوط

ولا الصراخ

لي صديق يشبه الثلج

ينام على الأرائك

له نزهات لطيفة في الغابات

وأحزان ناعمة في الظهيرة

ووجه قائظ حين يطوي الماء على نفسه

ويترك ظل شعره رطبًا

في الإطار المكسور

لي صديق لا أعرفه

لم أره

لم أتعرف على الانحناءات في جسده

لكني أحفظ عناوينه

أعرف الطرق التي مشى فيها

وحيدًا

أو مع يد حارسة

أحفظ أسماء عشّاقه

وأنسى اسمي

لأنه لم يذكرني به

على الأرجح

لي صديق

أدعي أحيانًا أنني لا أخاف عليه

أرسمه بوجه مالح

أغرقه تحت السرير

أعلّق له حبلًا طويلًا في السقف

ليشنق نفسه

ولكنه لا يموت

ربما لأن الحداد كان دومًا خيانة للقتيل

أو لأن الحبل لا يكون قاسيًا

كفاية

ليقطع شفتيه

وهما تعبران الغرفة صوب الجدار

لي صديق

لا يحب الغرباء

ولا الموسيقى الخارجة من الراديو

كيف لي أن أبحث عنه

وأنا قادم من مدينة بعيدة

تعلّق الكاستات كحبال الغسيل

وتقتل من يخرجون على اللحن

كيف لي أن أبحث عنه

لأخبره أن نافذتي قريبة من بابه

وأنّ شقته ينقصُها شبَّاكٌ

يُطلّ على البحر

وقدماي العابرتان

ومنديليَ

والبريدُ المعلّق الذي لم يصل بعد

مفاعيل رصاصة واحدة

برصاصة واحدة نحو الرّأس

أنهي أعياد الميلاد

والحفلات الصاخبة

وشريط الذكريات الذي يمرّ كعجلة محترقة

ويترك رمادًا كثيفًا

أسفل الخدّ

برصاصة واحدة نحو الرّأس

أصنع من جسدي القليل

قالب حلوى

أودعه الفرن ليكبر

وأزيّنه بأسنان صفراء مهترئة

وجلد متشقق

وصورة وحيدةٍ لأمي احتفظت بها سرًا

لمناسبة كهذه

برصاصة واحدة نحو الرأس

أخبر الخشب الذي ينمو على الغصون

أن الغابات خائنة

والأشجار لم تعد أماكن آمنة للعيش

أخبره أن عليه

أن يجد بيتًا جديدًا

ويستقبل أصدقاء ومعارف

وينظم أمسيات ومؤتمرات ومقابلات شفهية

ويحصل على نسخة جديدة من المفتاح

ويربي أظافره ويطليها بالغبار

كي لا تكشف الأعشاش سرّه

برصاصة واحدة نحو الرأس

أفتح بابًا يصل بين ضفتين

أرسم شارعًا حديثًا

بلا أقدام تسير عليه

وبلا وجوه تحدّق بعريّه

برصاصة واحدة نحو الرأس

أساعد غيمة حزينة على الاختباء

في كوخ

أعلّم رجلًا بعيدًا

كيف يرقص في كأس

كيف يبكي في الزجاج

كيف يبني شمسًا على السطوح

بأبراج عالية

ومناطيد

برصاصة واحدة نحو الرأس

أحشر جسدي في التربة

أودعها الملح والزرقة

وخدعة المسافات

برصاصة واحدة نحو الرأس

أحفر في عيني نفقًا

أصنع به سكة لطيفة لقطار

أجلس معه على المقاعد المخصصة

لمن لا يجيدون الترحال كثيرًا

وأبصق في غليونه

ليأخذني الدخان إلى هناك

برصاصتين اثنتين نحو الرأس

أجمع ألبوم العائلة في حذاء

وأمشي به على الرصيف

أرقص به في المقهى

أعلقه في الشرفة بعد أن يبتلّ

أشحنه في حنجرة كلب

أدوس به على البياض

برصاصة واحدة وحسب

أنهي صداعيَ المأزوم

وألغي كل المواعيد المعلّقة على الجدول

وأعطي مساحة واسعة

للدّم

ليبحث عن إخوته

ليقطف لنفسه زهرة

ليمنع جسدي من الطيران.

صورة شخصية لأبي

لا عظام في ظهر أبي

لا فم في وجهه

لا أقدامَ عنده ليتنزّه

لا يدَ له ليلوّح بها نحو الأعلى

أبي فوق السطح

يقفز مع الحمامات التي يربيها

يحتمي بريشها

من الموت الذي ينتظره على العتبة

من صوت الرجل البعيد في سماعة الهاتف

من غضب أمي في المساءات

أبي فوق التربة

له ولدان اثنان

يترك لهما النقود على المنضدة

يخبئها في الجوارير

يعرضها كجثث في فاترينة عتيقة

وولد ثالث

يقفل عليه في صندوق

يتركه للأعياد

والإناءات المثقوبة في الشرفة

المهملة كالمهرّجين

وأصحاب السيرك

لي أب لا أعرف منه إلا تعبه

لا يحب التقاط الصور

ولا الابتسام خلف الكاميرا

ربما لأن أسنانه سقطت

أو لأن من مثله يخافون من الفلاش

وانعكاس وجوههم على العدسة

لي أب أحفظ تاريخ ولادته من الأرشيف

أتعرف على ملامح وجهه بسهولة

وجهه مالح بلا زوايا

وبلا خرائط تدل عليه

لي أب أختبئ في أظافره

أبني أعشاشًا كثيرة في صدره

للعفاريت

والصيادين

أربط كتفه بحبل

وألقيه كمرساة

بوجه الأسماك الكبيرة في إكورايومات النهر

أبني بصمته سدًا

بوجه من يطلقون النكات بشراهة

ويحتفون بعائلاتهم

وأطفالهم

ومن يلعب الغميضة في الخاصرة

لي أب

يشبه الإسمنت الذي ينام عليه

والغيم الذي يتأمله

والشجرة التي يحتمي بظلالها

والسماء التي يدعو الله دومًا

أن تسقطَ على رأسه

لي أب يمدد أصابعه على جسده

ليبحث فيه عن أماكن صالحة للعيش

عن أماكن رطبة

لا تشبه القش اليابس الذي يكدسه فوق ظهره

ويدان ناعمتان

تمران على الوجه كنسمة صيفية

وتقفلان على الغبار في الحنجرة

لي أب أحبه

أخاف عليه

أبحث له عن قميص ليرتديه

وحذاء ليخبّئ فيه جسده

وحزام مشدود يمنعه من الموت

لي أب أكرهه أحيانًا

لأني أغار عليه

وأتمنى موته

لأرسم أثره على الرمل

لأزرعه في بيتي

لأصنع به معطفًا

وأحوّل كل ما بقي منه مسدساتٍ

وشوارع

لا تطل على المنارات القديمة

وبكاء من يعبرون البحر غرقًا

ليتنزهوا

قبل أن يصلوا إلى الضفة مبتلين بنجاتهم

لي أب

ليس عندي ما أمنحه إياه

سوى يد واحدة

ستصفق لرحيله

وسلة صغيرة

أجمع بها صوته وهو يتلطّى بين الغابات

وحيدًا

يبحث عن غصن

وصدى واسعين

ليعزف كونشرتو أخيرا

لكل من يمر وينسى الحياة وراءه

مخبأة في راديو

أو معلقة على حبل غسيل طويل

ينتظر أن تجفّ دموعه.

ما ليسَ لي

ليس لي ألبوم عائلة

أتذكر أنني كنت أسرق وجوه من أحبهم

في طفولتي

وأعلقها في الخزائن لأتأملها في حزني

كيف نتأمل أحزاننا؟

كيف نسافر بين الدموع لنبحث عن خيبة أولى

سقطت سهوًا على الخد

وتركت مساحة لبئر كي يمر

كيف تتسع حقائب الظهر

لأجسادنا حين نكدسها

ونرتبها بعناية

لننقلها من يأس إلى يأس

لي وجه واحد

لا أقرأ لغته

أراقب أيامه على الروزنامة

وهي تنمو بهدوء

أرسم خطًا أحمر تحت المناسبات المهمة

أعلّمها كي لا تضيع الفرحة

من أجندة الحياة

وسجلاتها

لي جسد واحد

لا مكان فيه للرغبة

لأن كثيرًا من العصافير قد حفرت فيه بريّتها

ورسمت على ذراعيه غصنًا

لتعود إليه بين الفينة والأخرى

لي عين واحدة

ألحسها بلساني

لأتأكد من وجودها

أخرج الصور من أحداقي المتعبة

كي تكفّ عن التحديق في وجوه من مرّوا

وصاروا سرابًا

لي ساق واحدة

وأخرى دفنتها تحت الجدار

لتهرب إلى الشارع حين أكون نائمًا

وتلعبَ مع أطفال الحيّ

وتسابقهم إلى النبع

ألصق أصابعي على الجدار

كي تتحسس ملمسه

أخبر الورود ألا تغوي نفسها بالرائحة الجميلة

لأن الرائحة لأنوف العابرين

وأياديهم المصابة بحساسية صعبة

أخبر الأشواك أن تنمو كثيرًا

في الحديقة

لتخفي أنفسها من القبح والعار

أقطّع جسدي وأمنحه للتربة قطعة قطعة

كي يصير حلوَ المذاق

كي يصبح ناعمًا

وكي أزرع فيه الفطر والنحل

وأسقيه أحزاني جرعاتٍ

ليساعد الشرانق على خلع جلودها

لا شيء عندي سوى الصمت

أمنحه لكلّ من جلسوا على الموائد وحيدين

قرب المواقد

لا عتب عندي على إله خائن

ظننت في صغري أنه سيتزوجني

وننجب حشرات

وغابات

ويعاسيب

لا شيء عندي لأقوله لمن تركوني على متن السفينة

لأعلّم البحر كيف يغرق نفسه

حين يغصّ برحيل الأمواج

أنا حزن البلابل في الظهيرة

لي رقّة الأعشاب

ونعومة الموتى

أنا جواز سفر الفراشات

نحو بلاد النور

أنا تعب الغابة مساء

حين تودع كل من زاروها غزلانًا

ورحلوا عنها ذئابا

أنا الماء المتجمع على السقوف

الماء الذي يخشى من السقوط سهوًا على جبين طفل

كي لا يبلل أحلامه

ليس لي ألبوم عائلة

لأن كل من أحببتهم في عزلاتي

تخلّوا عن كونهم صورًا فوتوغرافية في الأرشيف

وتركوا كاميراتهم في الغرف المعتمة

كي لا يعثر أحد

على ابتساماتهم المعلقة على الشاشة

ويغويهم بالعودة والغموض

يوميات طرق النّحل

كل يوم

أراقب حبل الغسيل الطويل

أتركه ثابتًا

أودعه يدي لتجفّ من أصابعها

أرسم وردة صغيرة

على كتفِ القميص الأبيض

أنتظرها لتكبر على السطح

لأن الشمس تعرف كيف تجد طريقها إلى المتعبين

كيف ترسم خطوطًا عريضة على جباههم

كيف تربّيهم على موتٍ وديع

ينتظرهم قرب النافذة

لم يكن لي أبناء لأمسك بأيديهم في الحدائق

ولا لأعلمهم العزف على البيانو

لي إخوة وحسب

صليت كثيرًا كي يموتوا

لأتمسك بعنق أبي

وأختبئ في حضنه

أبي لم يرحل

أبي يقف مساءً جنب العشب

يودّع التلّ بابتسامات خفيفة

يخاف أن يسرق نومه

بضحك طويل

لا ثلج عندي

لأرسم فيه خطواتي وهي تزحف نحو البرد

ولا رجل أيضًا

لأحتمي بشاربيه

لي موتُ الثعالب في الليل

حين تقرّر أن تكفّ عن المكر

لأن الوحدة أشرس من أنيابها

ولأن الأرانب التي تقفز هائجة في الحقل

تخاف من الظلمة

لا أريد للغرباء أن يبحثوا عن يدي في كومة القش

لا أريد لأمي أن تبحث عن وجهي في أصص الزهور

ولا لأبي أن ينتظر مجيئي من الضفة الأخيرة

للحقل

حيث ينبت عشبه بتطفّل

أريد للهرّة التي فقدت ابنتها للتّو

أن تحزن وحسب

لأن الحزن لا يخرج من الحناجر

ولأن الحداد على من يموتون

يعني أحيانًا

أن ننسى أن الموت شجرة وافرة

تنتظر

أن تنبت أغصانها ببطء

لتبني للمارين أعشاشًا واطئة

وملاجئ عتيقة

يكبرون فيها على مهل

لأن الفطام يشبه طرق النحل

والنحل لا يرقص إلّا في دوائر.

مجرّد تعريف شخصي

أنا طائر صغير بريشة واحدة

لي موت مؤجل أخبئه على الغصون

كي تكبر من بعدي

أنا طفل أعرج

لم أرسم شجرة العائلة في دفتر التلوين

لأن أمي ضاعت في الحقل

وهي تجمع جذورنا

أنا يد ناعمة

تصفق لكل الأغنياء الذين يمرون في الحي

بأزيائهم السخيفة

ووجوههم الحادة

وابتساماتهم الشرهة

لأن طفلًا حزينًا قد كبُر خلفي

وهو يجمع القطع النقدية من العمل في المقاهي

والمطاعم

والرقص على الأرصفة

ليشتري قفازًا لأنه يخشى على أصابع دميته من البرد

أنا قطة لا يحبها الجيران

ولا يلتفت إليها المارة في الشوارع

لأن لها عينًا معطوبة

وفروًا خشنًا

يمنعُها من أن تداعبَ أجساد من تحب

أنا دمية بلا أطراف

تركتها طفلة خبيثة في العيد

لأن أمها قذفت لها أختًا من أسفل حلقها

وابتاعت لها أقراطًا

وقلائد

وأحمر شفاه

وتكلمت معها بصوت ناعم

ونبرة حساسة

وبدت جميلة جدًا لا تشبه الشحوب الذي يعلو وجهي

ولا ثوبي المرقع

أنا شوكة نمت على ورقة أوركيدة فرحة

لتحميها من قطاع الطريق

والمتسولين

واليتامى

فذوت على الفور

لأن البثور التي زرعتُها فيها جعلتها قبيحة

وغير صالحة لحب المراهقين

وهمساتهم خلف الحديقة ليلًا

حين تسابق أفواههم بعضها بعضًا

لتسرق رغبات شاردة

ومتعًا طرية من على اللسان

أنا رجل وحيد

أبحث عن رجل لأحبه في وحدتي

وأبعث له رسائل حبّ

وأتغزل بشفتيه

لكني أخاف على الطيور التي تعبر السماء من أن تقع

أخاف على الأعشاب من أن يتوقف نموها

إذا مرّ عليها الصياد الذئب

وسرق أحلامها الهادئة من الحقل

أخاف على البحر من أن يحزن

لأن سمكة صغيرة ضاعت مع تياراته

وابتلعها المحيط

أنا رجل وحيد

لي أصدقاء أحبهم وأتمنى أن يموتوا قبلي

لأني لا أريد أن أبقى عالقًا على جدرانهم

في صورة فوتوغرافية

ولا في كتاب يحمل مداعباتي في الصيف

لأثبت أنني كنت هنا يومًا

أريدهم أن يموتوا

لأنني أحببت النسيان كثيرًا وأجدته عن ظهر قلب

ولأنني أردت أن أرحل بجسد كامل

مع وجهي الدبق

ويدي الاثنتين

اللتين تحتفظان بدم القاتل

وقدمي المصابة بالغرغرينا

مشاهد أخيرة

نخسر من نحبهم باكرًا

لأن الحياة تعودنا على الجري السريع

نشاركهم دموعًا كثيرة الأشكال

لأن الفم يفقد نفسه ببطء

حين يتكلم من غير شفاه طليقة

نتشابك بالأيدي

لأن اللمس يعني أن حرارة ما، قوية كحيوان مبتلّ

موجود على ضفة أخرى

ليخلصنا قليلًا

ليعلمنا أن دفئًا ما، بعيدًا عن صورة العائلة

ومشهد البحيرة في المساء

والأصابع الطويلة الصالحة للبيانو

يمكن أن يساعدنا على النوم

خارج أجسادنا أحيانًا

لأن كل البقع الملونة فيه

تشير إلى حزن ما

دلف نحو شموس خائنة

نرخي أكتافنا على بعض

نعلمها كيف تستقيم

لتصل إلى مستوى الخيبة المطلوب

لأن القبلات أيضًا، يمكن أن تحول حجارة وحيدة في طريق

إلى أشجار فارعة

تنام فيها العصافير لتخفي أجنحتها

نتلصص على عيوننا حين يملؤها الدمع

بحيرة واسعة من الحيرة

تنام على مهل

لأن الدموع هي أيضًا

شموع نضيئها بين الفينة والأخرى

كي لا تخدعنا الحياة

بمسرّات لاهثة

ورجال ببناطيل قصيرة

وشاليهات على الشاطئ

لأن الدموع هي آخر ما يبقى

حين يعتلي الغطاسون أمواجًا جديدة

حين يقررون الغرق

في زرقة أخرى

بعيدة عن مياه ضحلة

جمّعتها أسماك البحر بعيون جائعة

وأحلام قابلة للتصديق

أو لأن الزرقة لم تعد تكفي

لملء المساحات الفارغة في العين

لأن العين تغرق أيضًا

في عزلتها

في صمتها

في هدوء البؤبؤ وسكونه

حين يتوقف عن الرقص

لأن البحر لم يعد يعني له شيئًا

لأن كل الشموس مغارات عابرة

تخبّئ الفجر

نخسر من نحبهم باكرًا

لأن مرايا البيت ستضيق بوجوههم

لأن أنفاسهم العالقة في تربة الحديقة

ستغبّر الورد الشارد

إن حدقوا كثيرًا في السقف

إن انتبهوا كثيرًا للغيم العالق في الحنجرة

نخسرهم باكرًا

لأنه من الحكمة في كل يوم

أن نقتل من نحبهم

كي لا يكبروا مع جيران عابرين

التقوهم في باص

أو مع عشاق صغار في السن

التقوهم في حانة

لأنهم كانوا وحيدين ذات مساء

نزرع أقدامًا رشيقة أيضًا

لأن الحياة على ما يبدو

لن تنتهي من التدريب الوعر على القفز

والجري في دوائر

والركض على المنحدرات

لأن الحياة كما يظهر

في شاشة التلفزيون

وصالة السينما

والصفحة الأولى من الجرائد

والمطعم الذي يقدم وجبات لطيفة

لا تنتهي من إطلاق وعود شرهة

لا طاقة لنا بها

لا دموع كافية لها، لنستردها بعتب شفيف

وارتعاشة قاسية في الذاكرة

نموت كثيرًا

لأن الشاطئ لا يحتمل كثرة الأقدام فوقه

لأن المنزل الذي كبرنا فيه

مع أب عابس

وأم شاردة الذهن

يقرر أحيانًا، أن عليه أن يخوض مراهقة متأخرة في السن

وأن يبقى وحيدًا في مساءات مرقمة على الروزنامة

ليفكّر ويحلل هو أيضًا

كما يفعل الأطفال الجائعون

والضاربون على الآلة الكاتبة

نموت كثيرًا

لأنه يحدث بين الفينة والأخرى

أن ننسى كرسينا المفضل على الشرفة

في شتاءات باردة

وألا نعود إليه

لأنه يحدث أيضًا

أن يمشي كل واحد منا معًا

وحيدًا

بشكل مستقيم

ليفكّر في حلول

واقتراحات

لمشاكل ملتوية ومتعرجة في آن

نموت كثيرًا

لأن الحياة مستنقع كبير

يخبّئ أعشابًا ضحلة

وضفادعَ على وشك النمو

ومياهًا غير صالحة للشرب

وساعاتٍ مكسورة

وإطاراتٍ مثقوبة

وقطعَ خردةٍ وزجاجٍ

ولأن المعجزات قد تحصل يومًا

بفضل دعوات الجدات

كل يوم نموت كثيرًا

لأن الدمعة حين تصل إلى حافة العين

لا بدّ من أن تدلف نحو بلاد جديدة

لا بدّ من أن تغلّف بالطين

كي تعبر الطرقات الوعرة

وتجتاز شوارع الغرباء

ولأن المسافة بين اليد التي تمسك بحفنة التراب

والوجه الغارق في صمته

قريبة بما يكفي لإطلاق زناد مسدس

بعيدة بما يكفي

كطفل لم يكبر

لأن الفطام كان يعني عنده دومًا

الكفّ عن التعلّق بالشيء

والارتعاش من شدة لمسه

لأن الطفولة المهتدية إليه

خيبة أمل أخيرة، تضاف إلى سجلات سجون التعذيب

والأدوية المضادة للاكتئاب

والقلق اليومي

ولأن الفطام نفسه

سيعاقب نفسه دومًا بجرعات زائدة

وضفاف يابسة لا تعبرها إلا ريح بعيدة

تحمل وجوه كل من مروا

لتعيدها إلى خضرة ما

ونهد ما زال ينمو قرب الوسائد.

أولئك الذين

الذين تركوا حبالهم على الأرصفة

تسلقوا الجدران بضحكاتهم

وزرعوها

على سطوح البنايات

وناطحات السحاب

لتنمو أقدامهم بهدوء

الذين كانوا شوكًا يابسًا في البساتين

صاروا ورودًا

وفراشات

وعرائش

بعدما ضلّ بوْل المزارِع طريقه إلى إناءَاتهم.

الذين تركناهم في الغابة وحيدين

ليتعرّفوا إلى عزلاتهم

تحولوا ذئابًا

لأن السناجب

والأرانب

والزرافات

والغزلان

أشاحوا بوجوههم عنهم

وشكلوا معًا حلقات مفرغة حول النار

وانتظروا السدود على البحيرات

وقطّاع الطرق

وحضّروا لمراسم اغتيال الشجرة

الذين رسموا طواحين هوائية على الورق المقوّى

كانوا يخافون كثيرًا من هبوب الريح

فبنوا معابد من العتمة

فوق التلال

وجوّعوا الله إلى أن صار نحيلًا

ورفضوا أن يرفعوا قرابينهم إلى سمائه

فصيّرهم قشًا

وأرسلهم رزمًا مكدسة إلى الحقول

ونفخ فيهم باسمه

الذين لم يلتفتوا إلى شجرة الليمون

وهي تنمو خلف الجدران

بسيطة ومتأملة

قلّموا أظافرهم عن غير قصد

فناموا براعمَ

واستيقظوا ليجدوا فروعهم تتسلق ظهر الحائط

وتترك سيقانها ممددة على الوسائد

الذين كانت لهم ذاكرة الحطب

تخلّوا عن قوائم الانتقام الطويلة

من الفؤوس

والصيادين

لأنهم اكتشفوا مؤخرًا أنهم إخوة

فجمّعوا أنفسهم في موقد

وأنشؤوا عائلة

الذين وعدناهم أننا لن نغيب طويلًا

وأوصيناهم بالصبر

فتحوا نوافذهم

وشرّعوا الأبواب طويلًا

إلى أن شاخوا

وتركوا مساحة كافية في الصدوع الضيقة

لندفن أكاذيبنا

ورموا خلفهم رسائل للوداعات الملتهبة

لتخبرنا كم كان الانتظار أمرًا شاقًا

وكم كانت الوعود محلاة

وسهلة التصديق.

والذين عشنا معهم سنوات طوال

تخلّوا عنا

عند أول بحّة

وسعال

خوفًا من الجيروسكوفوبيا

وغرف العناية المركزية.

سيرة شجرةٍ وحيدة

تنمو الشجرة وحيدة ومهمومة

لأوراقها نظرة الرجل الذي سيمر سريعًا

وينسى بعد يومين

أن الأشجار تحزن أيضًا

حين يتبدل الطقس

أو حين تكسر العصافير أجنحتها

لأن السماء لا تتسع بكثرة الطيران

تنمو الشجرة قريبة من منزل الجدّة

لأن الجدة تعلم دومًا

في أمسياتها الطويلة

أن الجسد يتقلص من قلة اللّمس

وأن الشفاه شِباك كبركبرى

تخلى عنها الصيادون

لكثرة ما فيها من ماء ثقيل وحموضة تحت اللسان

تعلم الجدّة أن ماكينة الخياطة

الفارعة في الخارج

لا تصلح لخياطة ألبومات العائلة

وإعادة لمّ الشمل

تعلم الجدّات دومًا أن الأسنان التي سقطت

لن تنبت من جديد

بزرعها تحت الوسائد

أو برميها في الحقل

لأن التربة مالحة

والجنيّات ما زلن صغيرات في السنّ

خفيفًا يتساقط الثلج على الرفوف

لا وجهة له

سوى القرى النائمة في يقظتها

وأحلام الأطفال فيها

والمتقاعدين

خفيفًا ينزل على مهل

كي لا تلتقي الغيمة بالشجرة

كي لا تخدع الشجرة نفسها بحلم بريء

كي لا تنتظر رجالًا آخرين

سيعبرون يباس أقدامها

بنزهات حانية

وحيدة ومهمومة تنمو الشجرة

في الحقل

تنتظر مرور الصيادين من الضفاف البعيدة

لتخبرهم عن الموت الذي يكبر في أغصانها

عن الموت الذي لا تبصره فوهات البنادق

لأنه أخشن من رصاصاتها

وأنعم من ريشة عصفورة خجلى

ظنّت أن النبع سيمسي نهرًا

لأنها شاركته أسرارها

ذات مساء

حين بكى على الأقدام التي مرت فوقه

ولم تعبره

لأنها تخاف الابتلالَ بالوحدة

-2-

بورتريهات لرجال أحبهم

-1-

لأن الرجل الذي ينظر ويرى

يصغي ويسمع

يئّن ويتنهّد

يلمس ويحتضن ويبكي

الرجل الحذر بغيابه

المقتحم بحضوره

رجل الشارع

الباص

صالون الحلاقة

رجل الشاطئ

والنهر

والضفاف المالحة

يحق له أن يأخذ فم الرجل

الذي لا ينظر ولا يرى

ولا يصغي ولا يسمع

الرجل الخائف من المحيط

البعيد عن اللمس

ونعومة الأصابع

لأنّ الرجلين اللذين ينامان معا

على سرير واحد

تحت ملاءة واحدة

رغم اختلاف نوافذهما

ولون الستائر في غرفة كل منهما

يحلمان بالرقص فوق السطوح

بالقفز من الطابق العلوي

بعبور الشارع معًا

مع زهرة في اليد

سيغفر الإله لكل من أساء إليه

وسيكتشف في كل مرة

يقبّل فيها رجل رجلًا آخر

أن ثمة بعدُ مكانًا أليفًا

لا يصلح فيه الابتهال

ولا الصلاة

ولا تقديم الأضاحي

لأن الحب بين رجلين اثنين

يعني أن يتمددا معًا تحت سماء واحدة

ليقتلا كل المبشرين

والقديسين

وآلهة الجبال البعيدة

بطفولة فاضحة

وجسدين عاريين.

-2-

لا يد عندي

لأقفل الباب على من يتسلقون نوافذي في الليل

أنا مزهرية عتيقة يا أمي

أنسى نفسي قرب الإكواريوم

لأتذكر أن الورود لا يجب أن تموت

جائعة

وأن السمك العتيق سيكبر ليبتلع النهر

أنا حزن شفيف على شفاهك

ينام ولا يتنهد

يصرخ فوق الوسائد لأن الثلج قريب

وقطة جارنا لا تمتلك معطفًا

أنا البريد الذي لم يسأل عنه أحد

فكبر وحيدًا

من غير حروف نافرة

وخطوط عريضة وطوابع وابتسامات

أنا ظلك يا عادل

أبحث في العتمة عن وجهك

أتسلق صمتك بأصابعي

وأنسى أنك لست لي

ولست لك

وأن من مثلي

لا يحبون ليكتبوا

أسماء عشاقهم على الرمال

ولا ليحفروها

أسفل الشجرة

من مثلي يا عادل

يحبون لينجوا

لأن العالم أضيق من بؤبؤ العين

ولأن الحزن يجد طريقه دومًا إلى المسامات

ليرسم لنفسه لوحة

لرجلين اثنين، اغتالوا بعضهما

لأن القتل في هذه البلاد

أسهل من أن تعثر في فم أحدهم

على قبلة.

تعاهدنا على أن نترك أسماءَنا على العتبة

حين نعبر الجدار الواطئ لنصل إلى النهر

كي لا تبتل حناجر

من ينادون علينا من بعيد

وتغرق أنفاسهم في النّوم المتقطع لسمكة طموحة

ظنّت أن النهر سيحملها إلى الضفة الأخرى

من دون خسائر

وانتحارات

لأنها الوحيدة التي تملك عيونًا ملوّنة

تشبه زرقة النهر وهدوءه

تعاهدنا على أن نقفل على أقدامنا في الخزانات

لأن الشوارع ليست بريئة كحزن أمهاتنا

لأن الشوارع لا تحتفظ بأثر العابرين

في ألبوماتها الضخمة

لأنها لا تبني لهم بيوتًا ليسكنوها

ويقيموا الحفلات

لأنها لا تنتبه إلى خيباتهم في آخر الليل

المخبأة في المعاطف

والجيوب

والسواجير

وعواميد الإنارة

ولأن المدن مهما اتسعت وتمددت

ونشرت ضواحيها

ستكتشف دومًا الغرباء فيها

لأن لهم عيونًا واسعة تتسع للتحديق والبكاء

وأقدامًا ذات وقع ثقيل

تترك صرخات قوية في الخاصرة

تحمل حزنهم المتراكم على الرفوف

وصمتهم الطويل

ورطنهم في اللكنة

تعاهدنا على ألّا يحب أحدنا الآخر

لأن الحبّ يعني أن أعاتبك على خصل

الشعر

المتروكة في أرضية الحمام

وعلى الكنبة

وأن أراقب أظفارك وهي تنمو

وذقنك وهي تحتل مساحات جديدة نحو الخدّ

إذ ليس عندنا ملاءاتٌ كافية

لتحتضننا معًا

ولأن السرير الذي ننام عليه

مثقوب من كثرة التعب والمجابهات

ولا يتسع لأقدامنا

تعاهدنا على ألّا يحب أحدنا الآخر

لأن الحب يعني الفقد أيضًا

ولأنه لم يتبق أي مسافات بيضاء في دفاترنا اليومية

ولوحاتنا

وكتبنا

ومقطوعاتنا الموسيقية التي تبعث على الركض

من كثرة ما فيها

من ريح وعواصف

تعاهدنا على أن نبقى بعيدين تمامًا

غريبين إلا من سماعة الهاتف

لأننا لن نخطط يومًا نسخة مصغرة لخريطة

تحوي الأماكن التي يمكن الشعور فيها

بالأمان

ولأن كل البوصلات التي شاهدناها معًا

تحمل وجهة واحدة وحسب

لا تفهم إلا لغة الغياب والحسرة

تعاهدنا على أن نترك الورود

لتنمو على راحتها

رشيقة ومدللة

لأن أعمارها قصيرة جدًا

لا تحتمل خشونة أعمق من أشواك نابتة فوق الوجه

وقساوة أطول من تشقق في التربة

أو ثقب في طرف الإناء

تعاهدنا على ألّا نخبر الآخرين

أننا من هناك

لأنهم لن يصدقوا

أن الرجال بإمكانهم أن يضعوا أحمر الشفاه

وكحلًا فوق العين

وأنهم يستطيعون تقبيل بعضهم في الشارع

وأن يلتقطوا صورًا زيتية

لمن ينامون معهم

وأن يمنحوا بعضهم هدايا للزينة

كالأقراط الملونة

والشرائط اللاصقة

ومرطبات البشرة

تعاهدنا على أن نخبر الآخرين

أننا من هناك

لأنهم سيصدقون دومًا

أن الرجال لهم أجساد باسقة

وملامح خشنة

وأياد تشبه الإسمنت

وأنهم لا يرتدون سوى ربطات العنق

والبدلات

والعطور الخفيفة التي لا تبعث على شيء

والأحزمة المشدودة على الخاصرة

وأن لهم ابتسامات مقفلة

وعيونًا لا ترى الضوء

تعاهدنا على أن نعصب أعيننا بالعدسات

والأشرطة

كي لا نرى الآخرين بتاتًا

ونضطر للإجابة عن أسئلة دبقة

وندخل في متاهات وحوارات

حول الرجال

وكيف يعقل أن يتعلم الواحد منهم

الرقص

قبل أن يتعلم حمل السلاح

وكيف يعقل أن يكبر مع قعرٍ ممطوط

وطلاء أظافر

ويسقط مقتولًا في ساحةٍ للحرب

مع خدوشٍ فوق الرقبة

وقنبلة يدوية في الجيب.

-4-

سأخبرك كلّ يوم أنني حزين

لأن أطفال الحي سبقوني

وتسلقّوا الجدران العالية بضحكاتهم

وشيّدوا القلاع على الرمل

وأنا واقف على الرصيف

ألوّح للفراشات

كي أدلها على مواقع الحقول

واتجاهات الريح

سأخبرك كل يوم أنني وحيد

أجلس على الحافة وأنتظر مرور الصيادين

في الظهيرة

لأنذر العصافير بأن تنتف ريشها

وتتلون كالحرباء

وتسبح في المحيط

كي لا تجدها البنادق

وتعثر عليها النياشين

سأخبرك أنني لم أعد طفلًا

رغم بكائي الكثير في الليل

وبحثي عن الدمى في الصناديق المقفلة

وعلى السطوح

سأخبرك أنني لم أعد طفلًا

لأني قلت لأصدقاء الحي

إلى اللقاء

والجدات قد علمننا ألّا نطلق وعودًا كاذبة

سأخبرك أني أحب النساء كثيرًا

لأعوّض عن حبي لك

لكنني لا أشتهيهن

لأنني أحب الرجال وأبكيهم

كما يبكي الرجال على الرجال

أحبهم لأن لهم أجسادا صلبة

تنام على الصخر

وتحلم بنزه خفيفة في بركة

لأن لهم عيونًا جاحظة

وأحداقًا تتسلق أدراج السلم مع الريح

لتصل إلى السماء

وتعثر على طير لا يجيد السباحة كثيرًا

في ينابيع الغيم

أحبهم لأنهم حين يحزنون

يعانقون بعضهم

ويضلون المسير إلى البيوت

ويلتفتون إلى عزلة الغابات

وصوت انكسار الخبز

في الصحون

والموائد

سأخبرك أنني راحل

نحو بلاد لا تعاقبني لأنني أحب الرقص

نحو بلاد

لا تسخر من حزني على الأشجار

والحشرات

وقطرات الماء

سأخبرك أنني راحل

نحو الباب

لأنني الباب

أحمل في صدري

لافتة ومفتاحين

كي أقفل على ظلي

وأمنعه من أن يدلك على آثار أقدامي

التي زرعتها قصدًا

في البهو

لتجديني

وترسمي على حزني دمعتين

فيسافر نحو الحقل

ويتسلق التربة ويساعدها على الهروب نحو الشمس

-5-

أضع صورتك في قعري لأقيس عمقه

أترك شعر العانة وما تحت الإبطين كثيفًا

كي أتمسك بجسدك

أضع أحمر الشفاه

ألبس أوشحة أمي

أرقص بملاءات السرير

أبحث عن يدك تحت الوسائد

أرسم وجهك على الورقة

أصفر كقيء الأطفال في الظهيرة

الحب لا يساعد ورود أمي على التفتح قرب النافذة

ولا يمنع البرتقالة الحزينة من أن تحلم بأن تصبح عريشة

لتجد ظلها قرب الغيم

لا يمنع الطفل الذي ينزه كلابه قرب المقبرة

من أن يظنّ أنه عصفور

وأن يخلط يوميًا بين الغابة والبيت

ويضطر لزرع جناحيه على الطريق

ليحرسا عودته

الحب لا يمنع شجرة التفاح من أن تكون مجرى صغيرًا لنهر

لكنه يعاتب الحصى إن تكاتفت على بناء سدّ

لا يمنع جدتي أن تخافَ من الموت

وشراء الأساور

وصبغات الشعر

الموت لا يمنع جدي من الاستمتاع بفنجان قهوته صباحًا

ولا جاري من التحديق في مؤخرتي

كل يوم تغرق سمكة في المحيط

وتطفو حراشفها على السطح

كل يوم يتأخر العصفور الجريح عن السرب

ويكسر جناحيه عمدًا

كي يسقط وتجده أمه

داخل شجرة علّيق

كل يوم تمرّ قطة بليدة في حينا

وتنسى مواءَها على النافذة

كل سنة تخنق أمّ طفلها

لأنه لم يتمسك بثديها بما يكفي

كل سنة يزور الإله العالم

ليطمئن على الطفل الذي أغوته فراشة في الحقل

وسرقت عريه

أترك لك صورتي فوق المنضدة
لتتأمل الغياب الذي ينبت من الإطارات
حادًّا وعريضًا
كنكتة سمجة لمهرج ضل طريقه إلى المتحف

أُدخل أصابعكَ عميقًا في مؤخرتي
وأسحب أحشائي لتنظفها بأسنانك
أضع ملحًا في جيبي
لأفرك عيونك

أودع عندك مسدسًا وحبلًا طويلًا
كي تعلّق صمتك على الباب حين تدخل
وتقتل خجلك
برصاصتين في الصدر

أحتفظ بعنقك في مرطبان
أقيس حرارة الغرفة بجلدك
وأبعث لك الرسائل في ظُروف صغيرة
تحوي اسمك وعنوان منزلك
وما بقي عندي من رائحة عرقك

أرسم لك وردة على الجدار

كي تتذكر دومًا

كيف تعتني بي

كيف تسقيني بوْلك

وتفتح ساقيك على وسعهما

لأدفن وجهي في خاصرتك الملتهبة كشمس

أرسل وجهي إلى المختبر ليفحصوه

وعظامي لمقابر أجدادي

كي يلعبوا الغميضة

ويرقصوا السامبا في التلّ

أوقّع القصيدة بحرفين مروسين

كي لا ينتبه أحد إلى أمّيّتي

أجمع طوابع البريد وألصقها على البراد الصغير في مطبخي

كي يتسنى للطفل الذي ما زال يظنّ أنه عصفور

أن يجد أجنحته

ليعود إلى بطون الأفاعي

وموائد الصيادين.

-6-

هنا، يتكوّر الجسد على نفسه

يترك مساحات واسعة لضوء آت من الشرفة

لأصدقاء قدامى في الحي

كانت لهم أصابع معوجة

وطويلة

كافية لتُغمس في الرمل

أو لتحفر عميقًا في تربة الحدائق

يبحث الجسد عن انعكاس طفيف

على النوافذ

كي يرى بشكل أوضح

الشكل الذي تختاره رغبات الأمسيات الطويلة

من مسافة أبعد قليلًا

عن اللمس

يعلم الجسد كيف يخبّئ نفسه

لرجل

لا يشتهي الرجال في أحلامه

لرجل بشفاه وحسب

وأسماء مستعارة

وجسد مشبوه

يعلم كيف يخبّئ نفسه جيدًا

لرجل ما يزال يحاول بقسوة

أن يعثر على مكان أليف في مخيلته

يتسع لرجولة أخرى

لا خشونة فيها

ولا تضاريس

لرجولة أشدّ دفئًا من اللغة

وأحنّ من الشمس

وحيدًا ينام الجسد

يرخي ثقله على الأسرة

كمن لا باب في غرفه

بلا هواء ينام

لأن النوافذ المفتوحة على دهشتها

معطوبة

من كثرة الأقدام التي تمر في الشارع يوميًا

من كثرة الخوف والصمت

وارتعاش القناديل

ببطء يغلق الجسد على نفسه

يسلّم تعب النهار

لفرح أكثر براءة

لحقول لا تتغذى على سأم الفراشات فيها

لمدن لا تنام

إلا قليلًا

لأن الأحلام أيضًا

أيام مؤجلة

لأمهات يصلين كي لا يمتن أثناء العشاء

وأطفال يحرسون السماء ببكائهم

كي لا يتفرعوا طويلًا في الغد

وكي لا يكون الموت وجبتهم الأخيرة

على مائدة العائلة.

الفهرست